

الحلقة الثامنة عشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تستند في حياتك مستمعي على مبادئ معينة؟ أم تؤمن بعقيدة ما أو تتبع زعيماً معيناً؟ وهل حياتك تقف على أرض صلبة، أي تعلم ما هي أهدافك في الحياة وإلى أين تسير؟ أم تراك تجد نفسك ضائعاً في وسط ضجيج هذا العالم وزحامه؟ فأنت لا تعرف في أي اتجاه تسلك وما هي أهدافك؟ لم يكن الأمر مختلفاً كثيراً عندما أتى المخلص المسيح إلى عالمنا. فجمهور الناس غالباً ما يكون ضائعاً لا يعلم في أي اتجاه يسير، وإلى أين يسير، وما هو هدفه في الحياة. وهذا الأمر نجده يتكرر في كل جيل وزمان، وفي كل البلدان والأمصار.

ولقد دون لنا البشير متى كيف كان المخلص المسيح: « يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعَجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لَا رَاعِيَ لَهَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعْلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعْلَةً إِلَى حَصَادِهِ» (بشارة متى ٩: ٣٥-٣٨).

كان المخلص المسيح كعادته يطوف كل المدن والقرى في فلسطين، يعلم في المجمع ويكرز ببشارة الملكوت، قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. أجل، هذه هي بشارة الملكوت، أن المسيح الموعود به والذي طال انتظاره قد أتى أخيراً، وبدأ الزمان الذي سيحل فيه ملكوت الله. وكان المسيح في نفس الوقت يشفي أيضاً كل مرض وكل ضعف في الشعب. مبرهنناً بذلك عن مجيء هذا الملكوت، ملكوت الخلاص والغفران والمحبة، ملكوت السلام والخير. ومؤكداً أن تعليمه هو حق ومن عند الله.

مستمعي الكريم، كانت الجموع الغفيرة تتبع المسيح، وتحتشد من حوله. وعندما رآها نجد أنه تحنن عليهم، إذ هم في حالة انزعاج واضطراب وبلا هدف يسعون إليه، أو آمال يودون تحقيقها. ولهذا نراه يشبههم بالغنم التي لا راعي لها، أي ليس لها قائد يقودها إلى سبل النجاة والخير، ويحقق أهدافها وآمالها. أليست هذه هي حالة البشر في كل زمان ومكان يا صديقي؟ فمعظم الناس تعيش في حالة ضياع لا تعلم إلى أين تذهب وما هي الأهداف التي يجب أن تسعى إليها. ولهذا تستحق الحنان والشفقة. وهي أيضاً تحتاج إلى راعٍ يقودها، يحدد لها الأهداف ويجنبها المزالق. لم تكن الحالة أفضل في زمن العهد القديم، إذ وصف أنبياء الله الشعب قديماً بغنم لا راعي لها، وتحذثوا عن رعاة إسرائيل المزيفين الكذبة الذين يخدعون الشعب ويسلبونه. وتتأبوا في نفس الوقت عن مجيء الراعي الحقيقي، الذي يراعى الشعب ويحكم بالعدل والانصاف.

هل تعلم مستمعي أن المسيح هو هذا الراعي الحقيقي الصالح الذي تنبأ عنه أنبياء العهد القديم من الكتاب المقدس؟ ولهذا تحدّث المسيح عن رعاة إسرائيل السابقين المزيفين، وقال عنهم أنهم سرّاق ولصوص، الذين أرادوا أن يسرقوا ويذبحوا ويهلكوا الرعية. أما عن نفسه فقد قال المسيح: «أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (بشارة يوحنا ١٠: ١١). وهنا أكد المسيح أنه هو الراعي الصالح، لأنه يبذل نفسه عن الخراف، أي عن الرعية. وليس كأولئك الرعاة المزيفين الذين كانوا ينهبون الرعية ويهلكوها.

أجل، إن المسيح وحده هو الراعي الصالح الذي يجب أن نلجأ إليه، ونضع نفوسنا القلقة المضطربة تحت قيادته. وعندها فقط ينتفي الانزعاج، ويحل السلام الحقيقي مكانه. وليس هذا فحسب بل نستطيع أن نثق به ونتبعه، فهو يغدو القائد الصالح لنا، الذي يقودنا لما فيه الأفضل لحياتنا.

صديقي المستمع، لاحظنا قبل قليل أن المسيح قال: إن «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف». أليس هذا ما فعله المخلص المسيح؟ فهو لم يأت إلى عالمنا فحسب، بل بذل نفسه أي قدّم جسده فدية على الصليب من أجلنا نحن البشر الخاطئة. أجل، يا له من راعٍ صالح أحبنا نحن البشر الخاطئة، إلى حد أنه بذل جسده على الصليب، آخذاً عقاب خطايانا. والهدف لكي يمنحنا الغفران الكامل عن خطايانا، ويحررنا من عبودية الخطيئة، ويخلقنا خليقة روحية جديدة، ويجعلنا أولاداً لله. وليس هذا فحسب بل لكي يهبنا الحياة الأبدية.

أمام هذه المحبة المضحية الباذلة، ما هو موقفك مستمعي الكريم؟ ألا تتجاوب معها؟ أولاً تؤمن بهذا الراعي الصالح الذي ضحى بنفسه من أجلك؟ أولاً تتبع هذا الراعي الصالح الذي يقودك إلى الحياة الأفضل؟ وهو الذي قال عن نفسه: «وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (بشارة يوحنا ١٠:١٠).

إن معظم البشر إن لم يكن كلهم يعيشون في حالة قلق واضطراب، وبلا هدف في الحياة، ولا يوجد من يرشدهم أو يقودهم. لكن المخلص المسيح قد أتى لكي ينقذنا من هذا الوضع المكرب. ولينقل حياتنا من حالة الضياع إلى حالة الأمان والسلام، وليصبح عندنا هدف قيم، وراعي صالح نتبعه. لا تجعل مستمعي بعض النظريات تخدعك حول حقيقة مجيء المسيح وعمله الكفاري، والتي تدعي أن المسيح لم يُصلب، وإنما شبّه له. فهذه الادعاءات الباطلة تريد أن تبعدك عن معرفة الراعي الصالح لحياتك. إن كل الوقائع تؤكد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

وعندما تؤمن بهذا الراعي الصالح وتتبعه لا يصبح لحياتك معنى وهدف فحسب، بل تسعى عندها لكي تكون من الفعلة في حقل هذا العالم الواسع، الذين يسعون لكي يكرزوا ببشارة الإنجيل المفرحة إلى الجموع الغفيرة. لأن العالم بحاجة دائماً كما قال المخلص المسيح إلى فعلة في وسط هذا العالم المليء بالاضطراب والآلام.